أ.د. إلهام تركي علول حرم شريف بوعمود

تأصيل النظرية السردية المعاصرة في التراث العربي آليات تفسير سورة يوسف عندابن جرير الطبري نموذجا

نص المداخلة:

لقد أولى المفسرون القدامى عناية بالغة بالقرآن الكريم، فراحوا يفسرونه ويتبعون معانيه، ويبحثون عن تأويل ما استغلق عليهم فهمهم منه، وذلك بالوقوف على ألفاظه، وتراكيبه آية آية، حتى يتمكنوا من تقديم صورة تفسيرية شاملة لكل سور القرآن الكريم كل من زاوية اختصاصه ومن وجهته المذهبية.

ويلاحظ أنهم لم يتناولوا السور التي تتحدث عن القصص- وسورة يوسف تحديدا- بشكل مختلف بحيث يبرزون جماليات هذا البناء الفريد، وإن تنبهوا إلى خصوصيتها باعتبارها تحكي قصة- بل عكفوا يدرسونها جميعا بمنهجهم المتبع في تفسير القرآن كله أي الوقوف على معاني السورة آية آية. ولعلّ الالتزام بالمنهج عندهم هو ما فوت عليهم أهمية الوقوف على هذه السورة بشكل مختلف.

من ثم فإننا لا نجد تفسيرا واحدا اهتم فقط بالجوانب القصصية في القرآن فاستقصى جوانب تناول القرآن للقصة وآليات سردها، ومع ذلك فإننا لا ندعي أن المفسرين القدامى قد غفلوا على أن في نسيج الخطاب القرآني قصصا، حيث أقدم بعضهم على جمع قصص الأنبياء – الذين ذكرهم القرآن والذين لم يذكرهم أيضا- بين دفتي كتاب ويعد هذا الجهد في نظرنا أولى بدايات التنظير القصصي فكون بعض المفسرين قد أقدم على جمع جميع **قصص الأنبياء** ضمن كتاب معناه القول بوجود فهم لبناء مختلف في القرآن هو القصص لكن هل تم خلال هذه الكتب التعامل مع مفهوم القصص أم مع القصص في حد ذاتها.

أولا قصص الأنبياء

بالعودة إلى أقدم ما وصلنا من هذه المصادر وأشهرها على الإطلاق نجد الكتابين التاليين : **قصص الأنبياء** لـ**"كسائي"** و**قصص الأنبياء** المسمى **بالعرائس** لـ**"ثعلبي"** وهما كتابان يعدان «**أعظم هذه الكتب القصصية الدينية وأطولها وألصقها بالفن القصصي الديني**» لكننا منذ البدء نركز على جزئية أنهما كتابا قص وليسا كتابا تفسير ذلك أن مؤلفيهما يحاولان خلالهما أن يستجمعا خيوط القصة من مصادر مختلفة : دينية (قرآنية كانت أو توراتية) وأدبية أيضا وتقديمها للقارئ، فقد جاء فيهما أوصاف وتفاصيل وهيئات واشتملا على حوارات وقصص مدرجة ثانية لم ترد لا في القرآن ولا في غيره من الكتب الدينية بحيث يرجح أن المخيلة القصصية هي التي ابتدعتها ومن ذلك مثلا قول **"الثعلبي"** في قصة **"يوسف"** : » **وكان [يعقوب] ينومه[يوسف] إلى جانبه، فبينما يوسف نائم عند أبيه ليلة من الليالي إذ رأى الرؤيا التي ذكرها الله في كتابه العزيز وكانت ليلة الجمعة فانتبه من منامه فزعا مرعوبا فالتزمه يعقوب وضمه إلى صدره وقبل بين عينيه وقال: يا حبيب أبيه ما الذي أصابك ؟ فقال: يا أبت رأيت رؤيا أفزعتني فقال: يا بني خيرا رأيت ما الذي رأيت؟ قال يوسف : رأيت كأن أبواب السماء فتحت وقد أشرق منها النور فاستنارت النجوم وأشرقت الجبال وزخرت البحار وعلت أمواجها وسبحت الحيتان بأنواع اللغات ورأيت كأنني ألبست رداءا أشرقت الأرض من حسنه ونوره ورأيت كأن مفاتيح خزائن الأرض ألقيت بين يدي فبينما أنا كذلك إذ رأيت أحد**

عشر كوكبا انقضت من السماء ومعها الشمس والقمر، فخروا لي ساجدين»

ويلاحظ ما في هذا القول من صنعة لغوية ومن تفاصيل لم ترد في القرآن ولا في غيره وإنما هي من قبيل إطراف المتلقي وحمله على متابعة القراءة وتشويقه وتزويق الكلام له، وفي الكتاب من هذا القبيل ومن غيره شيء كثير يمكن رده إلى الفن القصصي الديني الذي يجعل من **قصص الأنبياء** مادة للقص وإطارا للأحداث التي تنسج منها جماليات أدبية وطرائف قصصية متنوعة وبالتالي لم يهتم المؤلفان في مؤلفيهما بآلية القص بل بالقص نفسه ولعمري، فقد حاولا أن يبينا أن كتابة القصة تقتضي التحكم في مجريات الأحداث وربطها والمزاوجة بين السرد والعرض من خلال ابتكار حوارات **(في هم يوسف بالمرأة وهمها به مثلا)** أو تخيل تفاصيل أحداث أو غير ذلك مما يتطلبه القص. وعليه فقد قدم الكاتبان بعناية صورة عن بداية نشأة الفن القصصي الديني عند العرب، ولم يتطرقا إلى كيفية القص القرآني.

وإذا كان كتابا **"السكاكي"** و**"الثعلبي"** أعظم كتابين في الفن القصصي الديني فإن كتابي**"ابن جرير"**و**"ابن كثير"** في **قصص الأنبياء** أهم كتابين في التفسير وقد تضمنا قصص الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن والذين لم يرد ذكرهم أيضا منذ **آدم** حتى **عيسى** عليهما السلام، وقد اختصر فيهما كل منهما قصص الأنبياء عموما. أما كتاب **قصص الأنبياء** لـ**"ابن جرير"** فقد حاول فيه صاحبه –في قصة**"يوسف"** تحديدا- أن يحيط بها من مولده حتى وفاته كما هو الشأن مع الأنبياء جميعا وبالتالي فهو لا يفسر السورة آية آية، بل هو يعيد تشكيل القصة منذ طفولة **"يوسف"** البعيدة، حين أخذته عمته التي كانت تحبه حبا كبيرا، بحجة أنه سرق منها منطقة **"إسحاق"** فلم يقدر والده على أخذه منها ، على اعتبار أن هذه القصة هي ما يفسر قول إخوته لعزيز مصر بعد ذلك(**إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل)** وبالتالي فهو يقدم القصة في تسلسلها السببي والكرونولوجي، ولا يتناولها باعتبار تخطيبها في القرآن الكريم، كما نلاحظ أيضا أنه لا يذكر الرؤيا اتي رآها **"يوسف"** وطلب تفسيرها من أبيه، بل يربط الحديث مباشرة بأن **"يوسف"** لما عاد إلى أبيه بعد أن ماتت عمته وجد عليه إخوته فدبروا له مكيدة يبعدونه بها عن أبيه كلية، ولعله بهذا الترتيب لم يستطع أن يعود أدراجه فيذكر الرؤيا ثم يقفل عائدا مرة أخرى إلى تفاصيل الجريمة التي يتناولها بتقديم مشهد مؤثر لما لحق **بيوسف** من أذى بعد أخذه من أبيه . من ثم فقصة **"يوسف"** في **قصص الأنبياء** للطبري هي اختصار لتفسيرها عنده ، كما أنها قص للقصة وليس دراسة لها .

أما بالنسبة **لـقصص الأنبياء لابن كثير**، فإن قصة **"يوسف"** فيها تمثل أيضا مختصر ما جاء منها في تفسيره يقول:» **وتكلمنا على هذه السورة مستقصى في موضعها من التفسير ونحن نذكر هاهنا نبذا مما هناك على وجه الإيجاز والنجاز**« وعليه فإن تفصيل هذه القصة موجود كاملا في **تفسير القرآن العظيم**، وبالتالي فهذا الكتاب مختصر لذلك التفسير، ليس يحوى منه إلا **قصص الأنبياء**، فالعودة إلى التفسير إذن أجدى للإحاطة بجميع تفاصيل القصة ولتحقيق الغاية المرجوة من معرفة شرحها والوقوف على كل جزئيات حوادثها .ولما كان **"ابن كثير"** متأخرا عن **"ابن جرير"** آخذا من السلف، ملتزما بالمنهج الأثري، فالعودة إلى **"ابن جرير"** أولى باعتبار هدفنا – هنا – هو البحث عن أولى المفاهيم السردية عند العرب وعند المفسرين على وجه الخصوص.ولما كان **قصص الأنبياء لابن جرير**، وقصة **"يوسف"** فيه تحديدا اختصار لما جاء حولها في تفسيره للقرآن الكريم فإن العودة إلى هذا التفسير أولى لأن الفائدة فيه أعم وأشمل وأبين .

ونخلص إلى أن القدامى قد فهموا أن في نسيج الخطاب القرآني قصصا، وأنهم حاولوا أن يجمعوا كل ذلك ضمن **قصص الأنبياء** الذي ركزوا فيه على حصر جميع الأنبياء ضمن كتاب مع التعريف بحياتهم من المولد حتى الوفاة وبالتالي فقد كانت هذه الكتب أقرب إلى الفن القصصي منها إلى دراسته .

ثانيا:عند ابن جرير الطبري نموذجا

يعد **"ابن جرير الطبري"** إمام المفسرين عامة ومعلم المفسرين بالمأثور خصوصا يقول فيه "السيوطي": »**فإن قلت: فأي التفاسير ترشد إليه وتأمر الناظر أن يعول عليه؟ قلت: تفسير الإمام أبي جعفر بن جرير الطبري الذي أجمع العلماء المعتبرون أنه لم يؤلف في التفسير مثله**« ونستنتج من هذا القول أن جميع من أتى بعد **"ابن جرير"** قد أفاد منه وأنه يمثل محطة تفسيرية لابد من الوقوف عليها بل إنه سابق غير مسبوق- نسبيا- وأنه أفضل من ألف في التفسير.

وعلى هذا الأساس، وعلى اعتبار أنه قد تفطن – منذ البدء – إلى وجود بناء قصصي في القرآن بدليل تأليفه لـ **"قصص الأنبياء"** -وإن جاء مختصرا عن تفسيره، شاملا لقصص لا دارسا لها- فإننا سنقوم بقراءة هذا التفسير لمعاينة ما جاء فيه من آليات في دراسة القصة. وبالعودة إليه نجد أن **"ابن جرير"** قد ظل يتعامل مع **"سورة يوسف"** بالطريقة نفسها التي أخضع لها جميع سور القرآن الكريم، حيث كان يورد الآية ثم يعرض إلى اختلاف المفسرين في تأويلها، وينتهي في أغلب الأحيان إلى ترجيح إحدى التأويلات أو إلى الإقرار باحتمال حصول تلك المعاني جميعا، ويرد العلم الفصل فيها إلى الله عزوجل، وإن عرض إلى أهميتها كقصة في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ** ﴿٣﴾﴾إذ يقول »**وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسألة أصحابه إياه أن يقص عليهم.ذكر الرواية بذلك:**

حدثني نصر بن عبد الرحمان الأودي، قال: ثنا حكام الرازي عن أيوب، عن عمرو الملائي/ عن ابن عباس، قال: قالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا قال: فنزلت:﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴿٣﴾ ﴾...

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن المسعودي، عن عون ابن عبد الله، قال: ملّ أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مَلَّة فقالوا: يا رسول الله حدثنا فأنزل الله عزوجل﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيث ﴾ ثم ملوا ملة أخرى فقالوا: حدثنا فوق الحديث ودون القرآن يعنون القصص. ﴿ فأنزل الله الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ ﴾ فأرادوا الحديث فدلهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصص فدلهم على أحسن القصص« ويلاحظ أن في هذا القول إشارة واضحة إلى خصوصية البناء القصصي الذي هو(فوق الحديث ودون القرآن) وإلى خصوصية **"سورة يوسف"** التي هي (أحسن القصص)، لكن **"ابن جرير"** لا يقف على هذه الخصوصيات بشكل صريح، بل يعرض لها في أثناء التفسير، دون أن ينصرف عن منهجه الذي حاول أن يلتزمه في تفسير القرآن عموما.

وسنحاول فيما يلي أن نقف من خلال قراءة تفسيره لـ**"سورة يوسف"** على مفهومه للقصة وآلية بنائها في القرآن الكريم .

1-الزمن :

1-1-زمن القصة :

يلاحظ أن **"ابن جرير"** من حيث أحداث القصة، لا يكتفي بما ورد في السورة، بل نجده يورد بعض التفاصيل، ويتطرق إلى بعض الأحداث كما نقلت إليه، ملتزما في ذلك بمنهجه الأثري.

فأما فيما يخص تحديد الزمن في القصة فيحاول "ابن جرير" أن يعين الإطار الزمني الذي تدور فيه القصة فيقول إن أهل العلم قد اختلفوا في قدر المدة التي كانت بين رؤيا **"يوسف"** وبين تأويلها، فهي أربعون سنة عند البعض، وثمانون عند البعض، وثماني عشرة عند البعض الآخر ولا يرجح أيا من هذه الآراء، ولا يخلص برأي خاص له منها وفي أثناء هذا التحديد، يعرض لمن حاول تبيين بعض التمفصلات الزمنية في القصة كعمر **"يوسف"** حين ألقي في الجب، ومقدار لبث "يعقوب" مع **"يوسف"** وعمر كل منهما حين

حضرتهما الوفاة.

ويلاحظ أن **"ابن جرير"** لا يهتم بعمر الإخوة ولا بعمر صاحبة **"يوسف"**، ولا بالعزيز، فوقوفه على الزمن في القصة محدود وغير ذي بال، لكننا نشيد فقط بجزئية هامة وهي كونه فهم أن خطاب القصة يتحرك في مدة زمنية واضحة تبدأ من الرؤيا، وتنتهي بتأويلها، أي أنه استطاع أن يفرق بين قصة **"يوسف"** التي يفترض أنها تبدأ بميلاده وقصته كما ذكرها القرآن الكريم، والتي تبتدئ برؤياه.

وعليه فإن التمييز بين القصة كأحداث والقصة كحكي كان موجودا في ذهن **"ابن جرير"** وإن لم يسمه أو يشر إليه. فأما بالنسبة للمؤشرات الزمنية في القصة، فإنه يهتم بتوضيح التحديد الكمي لزمن بعضها الوارد في السورة حيث يقف على ما يلي:

1-1-1-الأشد: يعرض **"ابن جرير"** إلى مفهوم الأشد فيقول» **يقول تعالى ذكره: لما بلغ "يوسف" أشده، يقول: لما بلغ منتهى شدته في شبابه وحده، وذلك فيما بين ثماني عشرة إلى ستين سنة** « ثم يورد اختلاف أهل التأويل في الذي عنى الله به من مبلغ الأشد، والذي هو: ثلاث وثلاثون سنة عند بعضهم، وبضع وثلاثون عند بعض، وعشرون عند بعض آخر. ويخلص إلى أن» **أولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه أتى "يوسف" لما بلغ أشده حكما وعلما. والأشد:هو انتهاء قوته وشبابه. وجائز أن يكون آتاه ذلك وهو ابن ثماني عشرة سنة، وجائز أن يكون أتاه وهو ابن عشرين سنة، وجائز أن يكون أتاه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، ولا دلالة في كتاب الله ولا أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في إجماع الأمة على أي ذلك كان، وإذا لم يكن ذلك موجودا من الوجه الذي ذكرت، فالصواب أن يقال فيه كما قال عزوجل، حتى نثبت حجة بصحة ما قيل في ذلك من الوجه الذي يجب التسليم له فيسلم لها حينئذ** « ويلاحظ أن **"ابن جرير"** يعتبر أن جميع الآراء التي تحاول أن تحدد مبلغ الأشد صحيحة، طالما أنها جميعا لا تخرج عن معنى وصول **"يوسف"** إلى (منتهى شدته وقوته في شبابه) وطالما أنه لا وجود لنص صحيح يعين ذلك بدقة ويبدو أن "ابن جرير" –هنا- لا يهتم بمبلغ الأشد، بل بمعنى الأشد في ذاته.

1-1-2-الحين: يبدأ **"ابن جرير"** أولا في توضيح معنى قوله تعالى:﴿ **ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الآيَاتِ ...** ﴿٣٥﴾ ثم يعرج على ذكر الروايات التي تعرضت لسبب حبس **"يوسف"**، ثم يخلص إلى أن الحين استنادا إلى بعض الروايات يعني سبع سنين.

1-1-3-بضع سنين: يذهب **"ابن جرير"** استنادا إلى بعض الروايات-إلى أن السبب في بقاء **يوسف"** في السجن أمدا هو استعانته على ربه، حين طلب من الساقي أن يذكره عند ربه، فكان عقوبة له، أن يظل في السجن، إلى حين يريد الله تعالى ذلك ثم عرض إلى الروايات التي تحاول تحديد هذا **البضع** والتي اختلفت بين: سبع سنين، مابين الثلاث إلى التسع وما دون العشرة. ليخلص إلى أن » **الصواب في البضع من الثلاث إلى التسع إلى العشر، ولا يكون دون الثلاث، وكذلك ما زاد على العقد إلى المئة، وما زاد على المئة فلا يكون فيه بضع** «

ويبدو أن **"ابن جرير"** –هنا- يصرّح برأيه، ويبت في معنى **البضع** على أساس لغة العرب التي جاء بها القرآن الكريم.

1-1-4-سوف أستغفر لكم ربي: يشير **"ابن جرير"** من خلال هذه العبارة إلى الزمن، حيث يورد بعض الروايات التي تختلف في كون سيدنا **"يعقوب"** عليه السلام، قد أخرهم إلى السحر، أو إلى ليلة الجمعة، ليكون ذلك أقرب إلى الاستجابة ولم يرجح **"ابن جرير"** أيا من الرأيين، لأن وقت السحر، وليلة الجمعة، كلاهما وقتان يحبب فيهما الدعاء لحصول الاستجابة.

ويبدو أن وقوف **"ابن جرير"** على هذه **المؤشرات الزمنية** لم يكن من أجل التحديد الكمي لزمنها، بل

من أجل توضيح المعنى العام للآية، ذلك أنه لم يقف على دلالة بعض المؤشرات مثل عشاء، أو سبع سنين، لأنها لا تحتاج إلى تأويل-حسبه- مادامت واضحة الدلالة على ما تشير إليه، ولا يوجد اختلاف تأويلي فيها.

ونخلص إلى أن **"ابن جرير"** لم يهتم بتحديد الإطار الزمني العام بتمفصلاته المختلفة، كما أنه لم يحفل إلا بمؤشرات بعينها، قد عميت دلالتها باستعمال ألفاظ تنفتح على التأويل. ولعل أهم ما يحمد له أنه استطاع أن يفهم أن خطاب القصة يدور في زمن محدود يبدأ من الرؤيا وينتهي بتأويلها وهو انجاز مهم، وسابقة مشهودة نفتخر بوضعها في أوائل الإشارات إلى التمييز بين القصة والخطاب.

2-1-زمن الخطاب:

لقد استطاع **"ابن جرير"** أن يحدد الإطار الزمني الذي تدور فيه أحداث قصة **"يوسف"**، والذي استغرق من الرؤيا إلى تأويلها، وبالتالي يمكننا القول إنه فهم ضمنا التمييز بين **"قصة يوسف"** و**"سورة يوسف"** أي بين القصة والخطاب.فالقصة تمثل مجموع الأحداث التي تقدم لنا في حين يمثل الخطاب الطريقة التي يتم بها الإخبار عنها ونظام تعرفنا على هذه الأحداث.

ويتدعم رأينا هذا، بإشارته إلى جزئيتين هامتين في تحليل الخطاب كما نعرفه اليوم، وهما النظام والمدة.

1-2-1-النظام:

لقد أشار **"ابن جرير"** إلى نقطتين هامتين تمثلان بؤرة فهمه للنظام الزمني- الذي يعنى بمقارنة ترتيب الأحداث في القصة بترتيبها في الخطاب- في معرض تفسيره للآيات الآتية:

أ-﴿ **فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** (١٥) ﴾

ب-﴿ **وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** (٢١) ﴾

ج-﴿ **قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَاناً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ** (٧٧) ﴾

ويلاحظ أنه فسر الآيتين (15) و(21)، على اعتبار **ما سيأتي من الأحداث** ففي الآية (15) عند وقوفه على معنى ﴿ **وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** ﴾ ساق مجموعة من الآراء، لعل أهمها بالنسبة إلينا قوله:» **قال آخرون بل معنى ذلك: أن يوسف سينبئهم بصنيعهم به، وهم لا يشعرون أنه يوسف**« ثم يتابع بقوله» **حدثنا القاسم، قال: ثني حجاج عن ابن جريج قوله: ﴿ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾يقول: وهم لا يشعرون أنه يوسف، حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز قال: ثنا صدقة بن عبادة الأسدي،عن أبيه، قال: سمعت ابن عباس يقول: لما دخل إخوة يوسف فعرفهم وهم له منكرون، قال: جيء بالصواع فوضعه على يده، ثم نقره فطن فقال: إنه يخبرني في هذا اللجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف يدنيه دونكم، وأنكم انطلقتم به فألقيتموه في غيابة الجب، قال: ثم نقره فطنّ فأتيتم أباكم فقلتم: إن الذئب أكله، وجئتم على قميصه بدم كذب.قال: فقال بعضهم لبعض:إن هذا اللجام ليخبره بخبركم. قال ابن عباس: فلا نرى هذه الآية نزلت إلا فيهم ﴿ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** (١٥) ﴾

ويلاحظ من خلال القول السابق، أن هذه الفئة من المفسرين يرون بأن الآية الكريمة، قد نزلت لتهوّن على **"يوسف"** أمره ولتؤكد له أنه سيكون له فرصة مستقبلية لالتقاء إخوته من جديد، حيث يتسنى له أن يحاسبهم على فعلتهم، لأن جميع أمرهم سيكون بين يديه.

إنه –إذن- يفهم أن هذه الآية في هذا الموضع، إرهاص بما ستأتي به الأحداث بعد ذلك، وإن لم يسمّه

بالمصطلح السردي الحديث، ألا وهو **الاستباق** وهو تعرف القارئ على وقائع قبل أوان حدوثها الطبيعي في القصة .

والشيء نفسه يمكن قوله، بخصوص تفسيره للآية (21) إذ يقول:» **و قوله:﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾ يقول عزوجل و كما أنقذنا يوسف من أيدي إخوته، وقد همُّوا بقتله وأخرجناه من الجب بعد أن ألقي فيه، فصيرناه إلى الكرامة و المنزلة الرفيعة عند عزيز مصر، كذلك مكنّا له في الأرض فجعلناه على خزائنها**« ويلاحظ أن قوله: » فجعلناه على خزائنها« تسبيق بذكر أحداث لم يحن أوانها الطبيعي من القصة أي أنه يبين دون أن يحدد ذلك بالمصطلح أن الله عزوجل في هذا الموضع يستبق بنا ما ستؤول إليه حال **"يوسف"** من التمكين في الأرض، و**"ابن جرير"** بدوره يبين في تفسيره أن هذا التمكين هو جعل **"يوسف"** على خزائن الأرض أي أنه يربط بين معنى التمكين والأحداث الصائرة فعلا بحيث ييسر للمتلقي مفهوم **الاستباق**.

ويبدو أنه إن كان قد أشار إلى مفهوم **الاستباق** في معرض تقديمه لآراء غيره في تفسير الآية (15) فإنه في هذا الموضع يقدم التفسير، ولا يعرض لتفاسير غيره فيه، وكأنه يصرح بألا اختلاف في هذا الموضع بالذات بينهم، على اعتبار أنه الوجه الأوحد لفهم الآية، وفي ذلك تأكيد صريح بأنه توصل إلى فهم أن الله قدم إشارة واضحة لما ستؤول إليه الأحداث ليستبق بالقارئ انتظار تمكين **"يوسف"** في الأرض.وأما في معرض تفسيره للآية (77) فيورد مجموعة من الآراء تختلف في السَّرَق الذي وصفوا به **"يوسف"** بين أن يكون صنما لجده أبي أمه كسره وألقاه على الطريق أو أنه سرق صنما لجده أبي أمه فعيروه بذلك أو أن أم **"يوسف"** وكانت مسلمة، قد أمرته بأن يسرق صنما لخاله يعبده أو أن بني **"يعقوب"** كانوا على طعام فاضطر **"يوسف"** إلى عرق فخبأه فعيروه به. أو أن عمته لحبها إياه ورغبتها في بقائها معه، قد عمدت إلى منطقة **"إسحاق"**، وكانوا يتوارثونها بالكبر فحزمتها على **"يوسف"** من تحت ثيابه، ثم ادعت أنها سرقت منها ثم التمستها عند **"يوسف"**، فأبت إلا أن تأخذه بفعلته، فما قدر عليه **"يعقوب"** حتى ماتت.

وإن كانت الآراء السابقة قصيرة في تفسير هذه الآية، فقد شغل الرأي الأخير قصة بكاملها (عمة "يوسف" و حبها إياه واحتيالها لبقائه عندها).

وأيا يكن الأمر، فقد استدعى تفسير هذه الآية، تقليب صفحات الماضي، والعودة إلى طفولة **"يوسف"** لتفسير حقيقة هذه السرقة التي يتهم بها.

وعليه فإن الله عزوجل، قد عاد بالأحداث إلى الوراء، مع هذه العبارة، وقد تنبه **"ابن جرير"** إلى ذلك، فجعل يبحث عن تفسير في طفولة **"يوسف"** لهذه السرقة، ليوضح أن القصة قد عادت إلى ما قبل بدايتها، دون أن يسم المصطلح كما هومعروف اليوم **بالاسترجاع.**

ويلاحظ في القصة الأخيرة حيث تحتال عمة **"يوسف"** لبقائه عندها بربط منطقة **"إسحاق"** تحت ثيابه، واتهامه بسرقتها، ومعاقبته بالاحتفاظ به جزاء على فعلته استباقا لما سيحدث فعلا مع **"بنيامين"** الذي يبقيه **"يوسف"** عنده بهذه الطريقة أيضا.

ولعل **"ابن جرير"** قد أومأ بهذه القصة إلى أن **"يوسف"** قد استفاد من خبراته الماضية ليحتال لبقاء أخيه معه.

ويبدو من الأمثلة السابقة، أن **"ابن جرير"** قد فهم إلى حد بعيد معنى المفارقة الزمنية بالعودة إلى الوراء أو القفز إلى الأمام، وإن لم يسمّها أو يقف عليها كخصوصية ظاهرة في قصة **"يوسف"**.

2-السرعة السردية: الحذف وتسريع الحكي.

يبدو أن **"ابن جرير"** قد تنبه أيضا إلى قضية هامة من قضايا السرديات وهي **تسريع الحكي** وقد استعمل في ذلك تقريبا المصطلح نفسه وهو **الحذف** الذي يعبر عن أقصى درجات التسريع.

فمن ذلك قوله في تفسير الآية (15) » **وفي الكلام متروك حذف ذكره اكتفاء بما ظهر عما ترك، وهو: فأرسله معهم، فلمّا ذهبوا به ﴿وَ أَجْمَعُوا﴾ يقول: وأجمع رأيهم وعزموا على﴿ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ ﴾ كما: حدّثنا ابن وكيع قال: ثنا عمرو بن محمد، عن أسباط عن السدي قوله: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قال: قال: لن أرسله معكم إني أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذن لخاسرون فأرسله معهم، فأخرجوه وبه عليهم كرامة فلما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة، وجعل أخوه يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه، فجعل لا يرى منهم رحيما، فضربوه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويقول....**

ويبدو أن **"ابن جرير"** يورد قصة كاملة تصوّر وحشية الإخوة وقد انفردوا بـ**"يوسف"** مما سكت عنه القرآن أو بعبارة **"ابن جرير"** حذفه، أي أن في القصة أحداثا يقفز عليها السارد، وهو ما يسمى في السرديات كما هو الحال عند "ابن جرير"بـ**"الحذف"**.

ومن ذلك أيضا قوله في تفسير قوله تعالى:﴿ **وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ** ﴿١٩﴾ »**يقول أرسل دلوه في البئر، يقال دَلَيْتُ الدلو في البئر إذا أرسلتها فيه، فإذا استقيت فيها قلت: دَلَوْتُ أدلو دلوًا. وفي الكلام محذوف استغني بدلالة ما ذكر عليه فترك، وذلك: فأدلى دلوه، فتعلق به يوسف فخرج، فقال المدلي:﴿ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ ﴾ «**

وعليه فإن **"ابن جرير"** يعتقد بوجود أحداث يتجاوز السرد القرآني عن ذكرها، ويستغني عنها بدلالة ما ذكر سابقا، بحيث يفتح أمام المتلقي أفقا لتخيل الأحداث التي يحذفها.

وانطلاقا من هذه الرؤية إلى تركيز الخطاب القرآني، نجد **"ابن جرير"** يورد العديد من القصص ومن الحوارات بين الشخصيات مما لم يذكره القرآن مطلقا، ومن ذلك قوله في تفسير﴿ **وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴿٥٦﴾﴾ قال: » **فذكر لي والله أعلم أن إطفير هلك في تلك الليالي، وأن الملك-الريان بن الوليد زوّج يوسف امرأة إطفير راعيل، وأنها حين دخلت عليه قال: أليس هذا خير مما كنت تريدين؟ قال فيزعمون أنها قالت: أيها الصديق لا تلمني، فإنني كنت امرأة كما ترى حسنا وجمالا، ناعمة في ملك الدنيا، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنت كما جعلك الله في حسنك، وهيئتك، فغلبتني نفسي على ما رأيت، فيزعمون أنه وجدها عذراء، فأصابها فولدت له رجلين: افراثيم بن يوسف، وميشا بن يوسف** «

ويبدو من خلال هذه القصة – ومثلها كثير في التفسير- أن **"ابن جرير"** يحاول أن يقدم صورة لقصة **"يوسف"** مع إدراكه أن الله تعالى لا يهمه منها إلا ما يقدمه في خطابه القرآني فـ**"ابن جرير"** يسعى جاهدا لبناء قصة **"يوسف"** مع مراعاة مبدئي السببية والكرونولوجية. فالكرونولوجية الحدثية تقول إنه تقلد منصب العزيز، وأكيد أنه تزوج بعد ذلك و أنجب.وأما السببية، فيراعي فيها أن العزيز قد هلك، لذلك تولى **"يوسف"** منصبه، ولأنه بلا زوجة، ولأن امرأة العزيز صارت بلا زوج، مع ما أسلف من ولهها به، فلا ضير من أنهما تزوجا، مكافأة للقارئ الذي يريد أن يعلم ما آل إليه أمر تلك المرأة، وإيغالا في هذا المنحى، فإنه يبحث عن الأسباب التي أدت بها إلى تعلقها الشديد بـ**"يوسف"**، فإذا زوجها لا حاجة له في النساء، مع جمال **"يوسف"** الرائع، ومكافأة لـ**"يوسف"** على صبره، و جزاء له على عفته، و تأكيدا لحب المرأة له، وعذرا لها من صاحبها، فقد وجدها عذراء !!! و تتمة لسعادتهما معا فقد ولد لهما صبيان!!!

ومن خلال فحص تفسير "السورة" بأجملها، نجد العديد من القصص التي يحاول المفسرون من خلالها أن يتخيلوا تفاصيل القصة التي تجاوز عنها القرآن الكريم، كما تتحول العديد من الخطابات المسرودة في السورة إلى حوارات بين الشخصيات من مثل تفسيره لـ ﴿ **وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ**﴾في الآية (31) إذ يقول:» **كانت في أيديهن سكاكين مع الأترج، فقطعن أيديهن، وسالت الدماء، فقلن: نحن نلومك على حب هذا الرجل، ونحن قد قطعنا أيدينا وسالت الدماء** «

من ثم فالحذف عند **"ابن جرير"** ثلاثة أنواع: نوع اكتفى الله فيه بما ظهر عما ترك، ونوع استغنى بدليل قوله تعالى عن تقديم التفاصيل، ونوع لم يشر إليه القرآن ولم يقصه لعدم الحاجة إليه.

وعليه، فلقد عرف **"ابن جرير"** الفرق بين القصة باعتبارها أحداثا وبينها باعتبارها حكيا، ذلك أن من خصائص هذا الحكي أن يقفز على تفاصيل ويتجاهلها بالمرة أو أن يومئ إليها إيماء، كما نجده من خلال الوقوف على بعض الفجوات الحدثية يستثمر مفهوم **الحذف** باعتباره إيقاعا سرديا ليتناول بعض التفاصيل القصصية التي سكت عنها القرآن الكريم. ونخلص–هنا- إلى أن **"ابن جرير"**-فيما يبدو- قد فرّق بين القصة والخطاب، لأنه في تفسيره للسورة القرآنية استطاع أن يعقد المقارنة بينها وبين ما يوجد في القصة المفترضة كما تأولوها أو كما رويت عن أهل الكتاب من أحداث وحوارات وشخوص عن طريق الإشارة إلى كل من **النظام الزمني** بما يتضمن من **استرجاع** و**استباق** و**السرعة السردية** من خلال الوقوف على **الحذف** في السورة الكريمة.

وعليه فإن أهم مبدأ يقوم عليه القص الجديد، وأهم إجراء سردي تتم من خلاله معاينة الزمن في الخطاب القصصي قد تنبه له **"ابن جرير"** أثناء قراءته لـ**"سورة يوسف"** التي استثمرت منذ أكثر من أربعة عشر قرنا هذه التقنية القصصية الرائعة.

ـ الصيغة السردية والصوت:2

2-1- الصيغة السردية:

لقد حرص **"ابن جرير"** في تفسيره على الوقوف على ألفاظ القران وتراكيبه التي تحتمل أكثر من معنى ممكن مما تناوله المفسرون قبله على أكثر من وجه وقدموا له أكثر من تفسير وعليه فقد كان جهده عظيما في استجلاء أبعاد اللغة القرآنية وبيان تأويلها .

ولعلنا منذ البدء نعترف له بالسبق والجدة والابتكار في التمييز بين **سرد الأحداث** و**سرد الأقوال**، ففي **سرد الأحداث** نجده يعلق على سكوت الله عزوجل عن التفاصيل المملة بقوله» **وفي الكلام متروك** ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى﴿ **فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** ﴿١٥﴾﴾ إذ يقدم قصة كاملة يصف فيها إهانة الإخوة لـ **"يوسف"** وضربهم له وهمهم بقتله مما لم يذكره الله عز وجل لأنه ركز على الحدث الأهم وهو الإلقاء في الجب أما ماعدا ذلك من الأقوال والأفعال فإنه لا يرقى ليكون أفظع مما حدث وبالتالي فقد لاحظ **"ابن جرير"** أن الله في ذكره للأحداث لا يركز على ما عداها من حيثيات يسعى "ابن جرير" في كل مرة إلى أن ينبه إليها فيوضح معنى(دم كذب) أو ماهية البرهان الذي رأى **"يوسف"** أو العدد مثلا في (دراهم معدودة) أو نوع الطعام في (اعتدت لهن متكئا)..

أما في **سرد الأقوال** فإنه يحافظ لهذه الأقوال على خصوصيتها فهو يشرح معنى القول، مع التأكيد على كونه حوارا، فلا يفسره بأبعد مما قالت الشخصيات بل إنه يقف على الدلالات القولية الظاهرة والغائبة أيضا إن وجدت فيه، فمن ذلك قوله في تفسير الآية **9** من سورة **يوسف** »**يقول جل ثناؤه: قال إخوة يوسف بعضهم لبعض اقتلوا يوسف أو اطرحوه في أرض من الأرض يعنون مكانا من الأرض** ﴿**يخل لكم وجه أبيكم**

﴾ **يعنون: يخل لكم وجه أبيكم بمن شغله بيوسف فإنه قد شغله عنا وصرف وجهه عنا إليه ﴿وتكونوا من بعده قوما صالحين﴾ يعنون أنهم يتوبون من قتلهم يوسف وذنبهم الذي يركبونه فيه فيكونون بتوبتهم من قتله من بعد هلاك يوسف قوما صالحين«**

ويلاحظ في عرض الحوارات الحاصلة بين الشخصيات أنه يحدد القائل فمن ذلك قوله في تفسير الآية 10: »**يقول تعالى ذكره:قال قائل من إخوة يوسف(لا تقتلوا يوسف)وقيل إن قائل ذلك روبيل كان ابن خالة يوسف«**

وهو بذلك يومئ إلى أن هذا الخطاب من مقول هذا الشخص بعينه دون سواه، وعليه فقد تنبه إلى وجود نوع من الخطاب هو **خطاب مباشر** حيث تنفرد شخصية ما بالكلام، ويورد السارد كلامها بمعزل عن خطابه بحيث يحافظ له على خصوصيته التعبيرية .

كما تنبه **"ابن جرير"** أيضا إلى أن الدعاء هو مناجاة بين العبد وربه في قوله»**إن قال قائل: ماوجه قوله (فاستجاب له ربه) ولا مسألة تقدمت من يوسف لربه ولا دعا بصرف كيدهن عنه،وإنما أخبر ربه أن السجن أحب إليه من معصيته؟قيل: إن في إخباره بذلك شكاية منه إلى ربه مما لقي منهن وفي قوله:(وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن معنى دعاء ومسألة منه ربه صرف كيدهن)** « .

ويلاحظ إذن أنه يفهم معنى المناجاة والدعاء إلى الله، والشكوى له، والانقطاع عن عالم البشر وخطابهن لالتماس خطاب ذاتي يكون بين العبد وربه، أو بين العبد ونفسه أيضا ونستنتج الحالة الثانية في تفسيره قوله تعالى: ﴿**فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَاناً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾** ﴿٧٧﴾

يقول:» **يعني بقوله:"فأسرها" فأضمرها،وأما الذي أسر في نفسه فقوله:(انتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون)** « ويبدو أن **"ابن جرير"**يؤكد على أن هذا القول المحافظ له على لفظه إنما هو قول **"يوسف"** وهو إلى ذلك قول قاله **"يوسف"** لنفسه إسرارا بحيث لم يجعل إخوته يسمعونه وهو لعمري فهم واضح لمفهوم **الخطاب المعروض الذاتي.**

ونخلص إلى أن **"ابن جرير"** من خلال تفسيره قد حاول أن يميز بين الخطابات المتنوعة الموظفة من قبل العزيز الحكيم ففرق بين **حكي الأقوال** و**حكي الأحداث** وميز في **حكي الأقوال** بين **الخطاب المعروض** و**الخطاب المباشر** و**الخطاب المعروض الذاتي.**

- الصوت:2-2

لقد حرص **"ابن جرير"** على تحديد نسبة الكلام إلى قائله وبالتالي توضيح من يتكلم في مواضع مختلفة من تفسيره للسورة بدا فيها الكلام مفتوحا على التأويل فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى ﴿**إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ** ﴾ ﴿٢٨﴾ يقول» :**وقوله ﴿ فلما رأى قميصه قد من دبر ﴾ خبر عن زوج المرأة وهو القائل لها إن هذا الفعل من كيدكن أي صنيعكن يعني من صنيع النساء إن كيدكن عظيم. وقيل إنه خبر عن الشاهد أنه القائل ذلك** »

ويبدو –هنا – أنه يحاول أن يحدد من قال هذا الكلام بين الشاهد والزوج كذلك تفسيره لقوله تعالى :﴿ **ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ** ﴿٥٢﴾﴾ حيث يفسره بأنه من قول **" يوسف"** للعزيز أنه لم يخنه بالغيب وأن قوله ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾﴿٥٣﴾ إنما كان ردا على الملك أو المرأة حين واجهاه بحقيقة أنه قد هم من قبل ثم ارعوى.

كما يلاحظ أنه يحدد أيضا المسرود له عندما يستعمل الله عزوجل / السارد ضمير الأنت وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **وما أرسلنا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ**

فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُون ﴿١٠٩﴾ يقول: »**يقول تعالى ذكره (وما أرسلنا) يا محمد** «

كما يلاحظ أنه يقدم أحيانا قصصا جانبية يحاول من خلالها تفسير العبارة التي تختزل الأحداث من مثل القصص التي رافقت تحديده لـ(**برهان ربه**) كما يلاحظ أيضا أنه يعرض إلى ما توحي به اللفظة من احتمالات دلالية وما لذلك من علاقة في تحديد بعض التفاصيل الحدثية من مثل عبارة (**يا بشرى**) التي تختلف دلالتها بين أن يكون المدلي قد بشر به أصحابه أو أن يكون نادى رجلا بعينه يسمى بشرى .

كما أنه أيضا يعمد من خلال اختلاف القراءات إلى بيان الاختلافات التي تنجر عنها في تلقي الأحداث فمن ذلك قراءة (**يرتع و يلعب**) أو (**نرتع ونلعب**) أو (**يرتعِ ويلعب**).

ينضاف إلى ذلك أنه يسعى من خلال تحديد النسبة في الكلام إلى تجلية بعض الأحداث المعماة من مثل تفسيره لـ ﴿**وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ** ﴿١٩﴾**وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنْ الزَّاهِدِينَ** ﴿٢٠﴾﴾ من إمكانية أن يكون الذين باعوه إخوته أو السيارة.

ونخلص إلى أن **"ابن جرير"** قد عمد إلى السورة يقرؤها ويتمعنها ويحاول جاهدا أن يجلي جميع الخصائص التعبيرية فيها فكان له أن تنبه إلى العديد من الخصائص السردية في الخطاب القرآني مما نعتبره اليوم نتاج السرديات والرواية الجديدة .

3- الفضاء:

حاول **"ابن جرير"** أن يفسر السورة ويقف على جميع خصوصياتها السردية ولعل من بين ما يحسب له أنه حاول جاهدا أن يبرز مكان الأحداث ويحدد إطار تحرك الشخصيات ,فبين أن الجب بئر بالشام أو ببيت المقدس على اختلاف الرواة وأن منزل أهل **"يعقوب"** إنما كان بالعربات من أرض فلسطين ثغور الشام أو هي الأولاج من ناحية الشعب .

كما أبدى أيضا اهتماما ببعض الأثاث الذي وظف في السورة من ذلك الدراهم التي بين قيمتها وعددها يقول: »**فانه يعني عزوجل أنهم باعوه بدراهم غير موزونة ناقصة غير وافية لزهدهم كان فيه. وقيل إنما قيل معدودة ليعلم بذلك أنها كانت أقل من الأربعين لأنهم كانوا في ذلك لا يزنون ما كان وزنه أقل من أربعين درهما لأن أقل أوزانهم وأصغرها كان الأوقية وكان وزن الأوقية أربعين درهما قالوا و إنما دل بقوله)معدودة)على قلة الدراهم التي باعوه بها فقال بعضهم :كان عشرين درهما**« ويبدو أن تركيزه على ذكر الدراهم وعددها إنما كان من أجل بيان كيف استطاع الله من خلال هذه الإشارة أن يبين مقدار الزهد في **"يوسف"** وكيفية التعامل معه كرق.

كذلك يهتم **"ابن جرير"** بالقميص/قميص **"يوسف"** ويصف كيف تفقده **"يعقوب"** فلم ير فيه شقا فاستدل على ذلك بأن الذئب لم يأكله يقول »**ذبحوا جديا ولطخوه من دمه فلما نظر يعقوب إلى القميص صحيحا عرف أن القوم كذبوه فقال لهم إن كان هذا الذئب لحليما حيث رحم القميص ولم يرحم ابني فعرف أنهم قد كذبوه** « لقد كان القميص دليلا على كذب ، ويلاحظ كيف أن **"ابن جرير"** قد حاول أن يبين كيف كان القميص شاهدا على ذلك، حيث أوضح أنهم جاؤوا به بلا خرق ولا شق.

ويركز **"ابن جرير"** على أهمية قميص **"يوسف"** في السورة فيورد قولا جاء فيه »**في قميص يوسف ثلاث آيات،حين ألقي على وجه أبيه فارتد بصيرا، وحين قد من دبر، وحين جاؤوا على قميصه بدم كذب** «

لم يعد القميص إذن مجرد ثوب يستعمل، بل هو بؤرة حدثية تنعقد أمامه الأحداث وتنفرج به، ولقد

تنبه **"ابن جرير"** إلى أن ذكر القميص لم يكن عابرا إنما كان له وظيفة سردية مقصودة بل إنه كان حاضرا في منعرجات القصة الثلاث: حين ألقي**"يوسف"** في الجب وأخبر والده بأنه مات فأنبأه القميص أنه حي، وحين اتهمته امرأة العزيز بمراودتها فأخبر ببراءته وحين ألقي على وجه **"يعقوب"**البصير فارتد مبصرا.

كما يعرض**"ابن جرير"**إلى صواع الملك يقول: » **هو المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه، كانت تشرب فيه الأعاجم ...وهو مكوك من فضة يشربون فيه وكان للعباس واحد في الجاهلية** « وبعد أن يبين ماهيته وصفته يعرض لقصة يؤدي فيها الصواع دور البطولة **يقول:** » **لما استخرجت السرقة من رحل الغلام انقطعت ظهورهم وقالوا: يابني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء حتى أخذت هذا الصواع فقال بنيامين: بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء، ذهبتم بأخي فأهلكتموه في البرية،وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع الدراهم في رحالكم.فقالوا:لا تذكر الدراهم فنؤخذ بها. فلما دخلوا على يوسف دعا بالصواع فنقر فيه، ثم أدناه من أذنه، ثم قال إن صواعي هذا ليخبرني إنكم كنتم اثني عشر رجلا وأنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه، فلما سمعها بنيامين، قام فسجد ليوسف ثم قال: أيها الملك، سل صواعك هذا عن أخي أحي هو؟** «ولا يهمنا في هذا الموضع أن نحلل هذه القصة بل أن نبين كيف اهتم **"ابن جرير"** بالصواع، وكيف أشار إلى أن للأشياء قدرة على فهم الأحداث، وتحفيز الشخصيات على الفعل والكلام.

ويبدو جليا مما سبق أن **"ابن جرير"** لم يغفل أيا من الإشارات المكانية الدالة، وأنه بذلك قد تنبه إلى علاقة الأشياء /الأثاث بنفسية شخوص القصة وبسير الأحداث عموما.

ونخلص إلى أن تفسير "ابن جرير" شكل رائد في فهم النصوص السردية، وأن في جعبة القدامى كنوزا لابد من استخراجها، فما نموذج "ابن جرير" إلا دعوة إلى مزيد من الدراسة والتنقيب للوصول إلى صورة سردية شاملة للمفسرين القدامى من خلال قصص القرآن عموما.